

## تفسير ابن كثير

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ

يقول تعالى : ( قل ) يا محمد : ( إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) أي : لو فرض

هذا لعبده على ذلك لأني عبد من عبده ، مطيع لجميع ما يأمرني به ، ليس عندي

استكبار ولا إباء عن عبادته ، فلو فرض كان هذا ، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى ،

والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا ، كما قال تعالى : ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا

لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ) [ الزمر : 4 ] . [ و ] قال بعض

المفسرين في قوله : ( فأنا أول العابدين ) أي : الآنفين . ومنهم سفيان الثوري ، والبخاري

حكاه فقال : ويقال : ( أول العابدين ) الجاحدين ، من عبد يعبد . وذكر ابن جرير لهذا

القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، حدثني ابن أبي

ذئب ، عن أبي قسيط ، عن بعجة بن زيد الجهني ؛ أن امرأة منهم دخلت على زوجها -

وهو رجل منهم أيضا - فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان -

رضي الله عنه - فأمر بها أن ترجم ، فدخل عليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

فقال : إن الله يقول في كتابه : ( وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ) [ الأحقاف : 15 ] ،  
وقال ( وفصاله في عامين ) [ لقمان : 14 ] ، قال : فوالله ما عبد عثمان - رضي الله  
عنه - أن بعث إليها ترد - قال يونس : قال ابن وهب : عبد : استنكف . [ و ] قال الشاعر  
: متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما وهذا القول فيه نظر ؛ لأنه كيف  
يلتئم مع الشرط فيكون تقديره : إن كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر ، فليتأمل .  
اللهم إلا أن يقال : " إن " ليست شرطا ، وإنما هي نافية كما قال علي بن أبي طلحة ، عن  
ابن عباس في قوله : ( قل إن كان للرحمن ولد ) ، يقول : لم يكن للرحمن ولد فأنا أول  
الشاهدين . وقال قتادة : هي كلمة من كلام العرب : ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول  
العابدين ) أي : إن ذلك لم يكن فلا ينبغي . وقال أبو صخر : ( قل إن كان للرحمن ولد  
فأنا أول العابدين ) أي : فأنا أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحده . وكذا قال  
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال مجاهد : ( فأنا أول العابدين ) أي : أول من عبده  
ووحده وكذبكم . وقال البخاري : ( فأنا أول العابدين ) الآنفين . وهما لغتان ، رجل  
عابد وعبد . والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ، ولكن هو ممتنع . وقال السدي [ في قوله

[ ( قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ) يقول : لو كان له ولد كنت أول من

عبده ، بأن له ولدا ، لكن لا ولد له . وهو اختيار ابن جرير ، ورد قول من زعم أن " إن "

نافية .